

الشهادة و الشهيد فى الشعر العربى المعاصر

امير مقدم متقى *

المستخلص

اهتم الشعراء المعاصرون كأسلافهم بموضوع الشهادة و الشهيد اهتماماً بالغاً و طبعاً بعد اندلاع الحروب فى البلاد العربية و القيام بالثورات و تضحيات الأبطال المسلمين؛ حيث إن عدداً كبيراً من الشعراء، يشاركونهم كل يوم فى هذه الثورات و التضحيات بكل ما يمكنهم على التعبير عن هذه المكانة، من التصوير و الرمز و الاستلهام و الحوار و غيره و عن طريق إذكاء نار الكفاح المتأججة فى صدور الثوار و إثارة نخوة الرجولة فى القلوب، للثأر و الانتصاف من الظلم و الطغيان و تخليد سيرهم و بطولاتهم و سردها للأحياء الباقين، لتكون قوة حركية فاعلة تفعل فعلها فيهم.

و بهذا كل يوم، تشيع رائحة إنسانية للشهادة من شعر هؤلاء الشعراء الذين عالج كل منهم هذا الموضوع من زاوية خاصة، راسماً من الشهداء لوحات و مشاهد شعرية رائعة، محتضنة حكاياتهم، زاخرة بالمعاني و المضامين القيمة، متنوعة فى الأساليب و القوالب؛ فإذا الشهيد فيها، نجم ساطع أو مصلح ملهم أو رمز للثبات فى الأمور الوطنية الخطيرة أو حتى لا ينبغي رثاءه أو ...

الكلمات الرئيسية: الشهيد و الشهادة، الشعر العربى المعاصر، تكريم، الرمز، الحوار، التعثر.

المقدمة

إن الحديث عن الشهادة و الشهيد فى الشعر العربى، حديث مترامى الأطراف متباعدها و كل من تصفح دواوين الشعراء تصفحاً عابراً، يجد نفسه - لامحالة - أمام مشاهد شعرية جمّة، تحتضن حكايات الشهداء و ما يرتبط بهم من بطولاتهم و ملاحمهم الخالدة عبر العصور؛ إذ إن الشعراء منذ

* أستاذ مساعد بجامعة آذربيجان لإعداد المعلمين، تبريز - آذر شهر A.moghaddam @ Azaruniv.edu

تاريخ الوصول: ٨٩/٣/٣٠، تاريخ القبول: ٨٩/٥/٣٠

بزوغ فجر الاسلام الذى عظم الشهادة و الشهيد، داعماً هذه المكانة بالآيات و الأحاديث الشريفة، راحوا يصورون الشهداء المسلمين و يمجّدونهم بأروع صور فى مراتبهم الخالدة. فهذا حسّان بن ثابت^١، الشاعر الإسلامى و رأس هؤلاء الشعراء، الذى رثى كثيراً من شهداء المسلمين. فهو فى رثاء شهيد أحد، حمزة بن عبد المطلب (رض) حين قدّمت بنته أمانة المدينة تسأل عن قبر أبيها و مصرعه، يقول:

تَسْأَلُ عَنْ قَرْمِ هِجَانَ سَمِيدِ عٍ لَدَى الْبَاسِ مِغْوَارِ الصَّبَاحِ جَسُورِ^٢
أَخَى ثِقَةٍ يَهْتَزُّ لِلْعُرْفِ وَالنَّدَى بَعِيدِ الْمَدَى فِى النَّائِبَاتِ صَبُورِ
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّهَادَةَ رَاحَةٌ وَرِضْوَانُ رَبِّ يَا أُمَامَ غَفُورِ

(الأصارى، ١٢٨١هـ.ق: ص ٤٣ و البرقوقى، ١٣٤٧هـ.ق: ص ١٨٦)

و لا يغيب عن ذاكرتنا أبو تمام^٣، شاعر العصر العباسى الذى نراه طويلاً يتغنى فى قصائده بانتصارات القواد المسلمين و بطولاتهم على بابك الخرمى^٤ و أتباعه و على الروم (ضيف، ٢٠٠٤م: ص ٢٧٢ - ٢٧٣) الذين وجدوا فى هؤلاء أتباعاً يناصرونهم العداء على المسلمين. فهو فيما يخلق من هذه الصور الملحمية الرائعة لا ينسى دائماً تعظيم شهداء هذه الحروب و تجيلهم و سرد بسالتهم و تخليد ذكرياتهم، وقد بذلوا مهجهم و أرواحهم و أموالهم فى سبيل إعلاء كلمة الله. ومن هؤلاء الأبطال، محمد بن حميد طوسى^٥ الذى رثاه أبوتمام بعدة من مراتبه التى «كلها من عيون قصائده فى الرثاء» (مروة، ١٤١١هـ.ق: ص ١١٢) يجسّم فيها بطولته و ابتسالة فى قتال الأعداء تجسيماً رائعاً بمثل قوله فى رثيته الخالدة:

فَتَى مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مَيْتَةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مُضْرَبُ سَيْفِهِ مِنْ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمْرُ
وَقَدْ كَانَ فَوْتُ الْمَوْتِ سَهلاً فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ
وَنَفْسٌ تَعَاثُرَ الْعَارَ حَتَّى كَانَتْ هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ
فَأَثَبَتْ فِى مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكِ الْحَشْرُ
غَدَا غَدَوَةٌ وَالْحَمْدُ نَسِجُ رِدَائِهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الْأَجْرُ
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْراً فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهَى مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

(الخطيب التبريزى، ١٩٥١م: ج ٤/ ص ٨٠ - ٨١ و عطية، ١٤١٢هـ.ق: ٣٥٥ - ٣٥٦)

و نلاحظ فى البيت الأخير، أنّ أبا تمام يستخدم اللون استخداماً مناسباً، فالبطل الذى يسقط مضرراً بدمه فى ساحة المعركة يظل اللون الأحمر الذى تضحّ به جسده الطاهر هو اللون المتميز

فى النهار لأهل الدنيا و لكنها تصيح زاهية خضراً من سندس و هى لباس الشهداء من أهل الخلود. (القيسى، بلاتا: ص ١٤٢ - ١٤٣)

و فى قصيدة أخرى فى خطابه أبا سعيد الثغرى^٦ يذكّرنا استشهادَ هذا البطل المجاهد و يمدح أباسعيد بأنه هو الذى أخذ ثأره:

أدرکتَ فيه دَمَ الشَّهِيدِ وَتَآرَهُ وَفَلَجْتَ فِيهِ بِشُكْرِ كُلِّ مُوحِّدٍ

(الخطيب التبريزى، ١٩٥١م: ج ٢/ ص ١٣٩ و شاهين، ص ١٣٠)

و لاعلينا هاهنا أن نشير إلى أن شعراء الأندلس جاروا إخوانهم المشرقين أيضاً فى تمجيد شجاعة هؤلاء المجاهدين أو إجلال شهادتهم فى معاركهم البرية و البحرية؛ فكأنهم كانوا يتخذون من شعرهم فى هذه القضية المقدسة وسيلةً لكى يظهرُوا أسماءهم فى جانب لوحات الشرف، لوحات استشهاد هؤلاء الأبطال الذين كلُّ منهم يودُّ لو لقى مصرعه حتى تُكتب له الشهادة. يقول ابن الجيّاب الغرناطى^٧ فى رثاء أحد الأبطال:

شَهِيدٌ سَعِيدٌ صَبَّحَتْهُ شَهَادَةٌ تَبَوَّأَ مِنْهَا فِى الْخُلُودِ التَّنْعَمِ

(الغرناطى، ٢٠٠٩م: ص ٤٨٦)

و الملاحظ أن الشهادة فى كلام ابن الجيّاب تعدل السعادة و هى الخلود و التمتع فى الجنة التى أعدت للمجاهدين بما جاء فى نعتها من قوله تعالى فى خطابه لآدم:

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا. (البقرة / ٣٥)

و لا يخلو العصر التركى أيضاً من اهتمام الشعراء بتكريم مكانة الشهادة و الشهداء. انظر كيف يرثى ابن الوردى^٨ أعزّاه و يرفع قدرهم بإلحاقهم بالشهداء فى:

وليس وفاتهم بالردم نَقْصاً لقدرهم ففى الشهداء صاروا

(ابن الوردى، ٢٠٠٩م: ص ١١٣)

و هكذا لم يخلُ أىَّ عصر من العصور التالية بعد الإسلام من تصوير الشهيد و الشهادة و تكريمهما على لسان الشعراء. و من ثمّ، فقد ظلَّ الشعر مواكباً لبطولة العرب و بسالتهم حتى نصل إلى عصرنا الراهن؛ و فى هذا العصر و طبعاً بعد اندلاع الحروب فى البلاد العربية و لاسيّما بعد قضية فلسطين و القيام بالثورات و تضحيات الأبطال المسلمين بدمائهم و أرواحهم فى سبيل الله و الوطن، نشاهد عدداً غفيراً من الشعراء يشاركونهم كلَّ يومٍ فى هذه الثورات و التضحيات، عن طريق إذكاء نار الكفاح المتأججة فى صدور الثوّار و إثارة نخوة الرجولة فى القلوب، للشأر و

الانتصاف من الظلم و الطغيان و عن طريق تخليد سيرهم و ملاحمهم و بطولاتهم و سردها للأحياء الباقين، لتكون قوة حركية فاعلة تفعل فعلها فيهم. و بهذا كل يوم، تشيع رائحة انسانية للشهادة من شعر هؤلاء الشعراء الذين عالج كل منهم هذا الموضوع من زاوية خاصة، راسماً من الشهداء لوحات و مشاهد شعرية رائعة، محتزنة حكماياتهم، زاخرة بالمعاني و المضامين القيمة، متنوعة في الأساليب و القوالب. فلا غرو أن تتحوّل هذه المشاهد الشعرية و القصائد الخالدة إلى أغان و أناشيد حماسية، تثير روح المقاومة و التضحية ضد الظلم و الطغيان و تكسب صاحبها في نفس الوقت الطمأنينة و التسلي من همومه و آلامه:

سأحملُ روحى على راحتى وألقى بها فى مهاوى الردى
فإمّا حياة تسر الصديق وإمّا ممات يغيظ العدا

(محمود، ٢٠٠٩م: ص ٤)

و هاهنا في هذه المقالة و في ظل الاستشهاد ببعض النماذج الشعرية العصرية، نحاول استعراض بعض هذه اللوحات و المشاهد الشعرية لهؤلاء الأبطال الشهداء، ليتبين لنا مدى اهتمام الشعراء المعاصرين بهذا الموضوع المقدس. و لكن هناك ملاحظة، لابد أن تذكر قبل الخوض في البحث؛ هي أننا اخترنا في هذه الدراسة عدداً قليلاً من الشعراء، حسب اهتمامهم بهذا الموضوع، ذلك أن التحدّث عن جميع الشعراء في هذا المجال، يستغرق وقتاً واسعاً و هذا ليس ما نقصده.

الف) التعريف بالشهادة و الشهيد

الشهادة لغة

الشهادة لغة تحمل عدة معان، منها العلم والحضور والمعانبة. جاء في لسان العرب: الشَّهَادَةُ خَبْرٌ قَاطِعٌ تَقُولُ مِنْهُ: شَهِدَ الرَّجُلُ عَلَى كَذَا... وَأَصْلُ الشَّهَادَةِ: الإِخْبَارُ بِمَا شَاهَدَهُ. وقوله عز وجل: شهد الله أنه لا إله إلا هو؛ معناه: قضى الله أنه لا إله إلا هو، وحقيقته عليم الله وبيّن الله لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه. وشهد الشاهد عند الحاكم أى بين ما يعلمه وأظهره. وشهد له بكذا شهادة أى أدى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد. وشهده شهوداً أى حضره، فهو شاهد. والمُشَاهَدَةُ: المعانبة.

والشَّهِيدُ: المقتول في سبيل الله، والجمع شُهَدَاءُ. والاسم الشهادة. وقال ابن الأثير: سُمي الشهيد شهيداً لأن الله وملائكته شهودٌ له بالجنة؛ وقيل: سُموا شهداء لأنهم ممن يُسْتَشْهَدُ يوم القيامة مع النبي، صلى الله عليه وسلم، على الأمم الخالية. (ابن منظور، ٢٠٠٩م: مادة شهد)

وبما أن الشهادة مرتبطة بالمعينة والمشاهدة، فهي مرتبطة بالعلم وقيل الشهيد الذي لا يغيب عن علمه شيء. والشهيد: الحاضر. وفَعِيلٌ من أبنية المبالغة في فاعل. فإذا اعتبر العلم مطلقاً، فهو العليم، وإذا أضيف في الأمور الباطنة، فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد. وقد يعتبر مع هذا أن يَشْهَدَ على الخلق يوم القيامة. (نفس المصدر)

الشهادة اصطلاحاً

استعملت كلمة الشهادة في القرآن الكريم بعدة معانٍ، منها ما يعتبر أساس الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ثم الشهادة بولاية وصي الرسول (ص) الإمام على (ع) التي تعتبر أساس الإيمان.

ومفهوم الشهادة الاصطلاحى يطابق مفهومها اللغوى فى معنى العلم والحضور والمعينة وأعظم تلك الشهادات، شهادة العزيز الجبار عز وجلّ وتلى تلك الشهادة شهادة الأنبياء والرسل، وشهادة شهود آخرين ومن تلك الآيات:

{يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (المجادلة / ٦)

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} (البقرة / ١٤٣)

و الآية الأولى تدلّ على شهادة الله والثانية تدلّ على شهادة الأنبياء والأوصياء. أما شهادة القتل فى سبيل الله، فإنه لم ترد فى القرآن الكريم الشهادة بمعنى القتل فى سبيل الله أو يمكن القول إن المفسرين اختلفوا فى ذلك، فعلى سبيل المثال، يرى العلامة الطباطبائى عند تفسير الشهادة فى قوله تعالى {إِنْ يُمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَادَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (آل عمران / ١٤٠) أنها بمعنى شهادة الأعمال لا القتل فى سبيل الله، لأنها بهذا المعنى فى رأيه من الكلمات التى استحدثت فى العصر الإسلامى. نصّه: «وأما قوله ويتخذ منكم شهداء، فالشهداء شهداء الأعمال وأما الشهداء بمعنى المقتولين فى معركة القتال، فلا يعهد استعماله فى القرآن وإنما هو من الالفاظ المستحدثة الإسلامية؛ على أن قوله «ويتخذ» أيضاً لا يلائم الشهداء بمعنى المقتولين فى المعركة كثير ملاءمة؛ فلا يقال اتخذ الله فلاناً مقتولاً فى سبيله وشهيداً كما يقال اتخذ الله ابراهيم خليلاً واتخذ الله موسى كليماً واتخذ الله النبى شهيداً يشهد على أمته يوم القيامة. (الطباطبائى، ج ٤ / ص ٤)

و يذهب القرطبى فى تفسير الكلمة نفسها، بأنها شهادة القتل. يقول:

«قوله تعالى: ويتخذ منكم شهداء أى يكرمكم بالشهادة؛ أى ليقتل قوم فيكونوا شهداء على الناس بأعمالهم...» (القرطبي، ، بلاتا: ج ٤ / ص ٨٠)

نعم، جاء في كثير من الروايات أن القتل في سبيل الله يُسمى شهادة. منها: سؤال المؤمنين لرسول الله(ص) أن يدعو لهم بالشهادة، ومنها أن حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري سأل الرسول الأكرم (ص): يا رسول الله ادعُ الله أن يرزقني الشهادة معك. فقال: اللهم ارزق حارثة الشهادة فلم يلبث إلا أياماً حتى قتل في سبيل الله. (ابن ارض، ١٣٨٨هـ.ش: موقع الشهداء: <http://www.alshuhadaa.com>)

و روى العياشي بالإسناد عن منهل القصاب، قلت لأبي عبد الله الصادق(ع): ادعُ الله أن يرزقني الشهادة. فقال إن المؤمن شهيد. (الطبرسي، بلاتا: الجزء التاسع، ص ٣٥٩)
ومن الروايات الواردة الأخرى حول هذا الأمر، قول الإمام الصادق(ع): ما منّا الا مقتول أو شهيد. (المجلسي، ١٣٩٣هـ.ق: ج ١٠٣ / الباب التاسع عشر، ص ١٢٩) فقد قرن (ع) القتل في سبيل الله باسم الشهادة.

وقد اعتبرت الشهادة هي افضل بل اشرف أنواع الموت لقول الامام الصادق(ع): اشرف الموت، قتل الشهادة (ابن ارض، ١٣٨٩هـ.ش: موقع الشهداء: <http://www.alshuhadaa.com>) وهذه الشهادة التي يُقبل عليها المؤمن المخلص امام أعداء الله وفي سبيل الله، هي القمة السّمَاء التي لا يرقى إلى الوصول إليها إلا كلُّ من صفت نفسه و صحّت عزيمته على أن يكون المثال و القدوة، بجرأة و ثقة و تصميم على الوصول إلى أهداف الأُمَّة. أليس عودتها إلى الإسلام حاجة مُلحّة من حاجاتها؟ و لا بدّ لهذه الحاجة من سعاة تجيش في قلوبهم غايات الأُمَّة و سبل صلاحها، لتحقيق على أيديهم النقلة إلى المرحلة الجديدة التي فيها العزة لله و لرسوله و للمؤمنين. (الساريسي، ١٩٩٦م: ص ١١٢)

وليس هؤلاء السعاة إلا المجاهدين و الأبطال المسلمين، الذين فازوا بالشهادة التي أولاها الإسلام مكانة رفيعة و «هم أحياء و حاضرون إلى أن تقوم الساعة، ثم يحييهم الله في الجنة لقوله تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» (البقرة/ ١٥٤) (الطوسي، ١٤٠٩ هـ.ق: ج ٢ / ص ٣٤)

و قوله عزّ و جلّ أيضاً: «ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون» (آل عمران / ١٦٩)

ولأن الشهادة تعنى الحضور والمعينة، فالشهيد يكون حاضراً ومعيناً سفك دمه، أو يكون شاهداً على القوم الظالمين. (ابن ارض، ١٣٨٩ هـ.ش: موقع الشهداء: <http://www.alshuhadaa.com>)
و كذلك نرى أحياناً في الشعر العربي الحديث، أن الشعراء يُعرفون بالشهيد و الشهادة على ما

استوحاه كلُّ منهم من الرؤية الإسلامية، من القرآن و الأحاديث و الروايات - التي ذكرنا بعضاً منها آنفاً - فى أساليب و قوالب شعرية تخصّهم؛ كما نلاحظ هذا التعريف فى شعر عبد الرحيم محمود و هو شاعر لُقّب بالشاعر الفلسطينى الشهيد، حيث يُعبّر الشهيد على لسان الشاعر فى قصيدته «الشهيد» عن الشهادة و الشهيد بأنّ الشهادة هى الموت الشريف و أنّ الشهيد هو الفتى الحقيقى:

سَأَحْمِلُ رُوحِي عَلَى رَاحَتِي وَأَلْقَى بِهَا فِي مَهَاوِي الرَّدَى
فَأَمَّا حَيَاةٌ تَسُرُّ الصَّدِيقَ وَإِمَّا مَمَاتٌ يَغِيظُ الْعَدَى
لَعْمُرُكَ هَذَا مَمَاتُ الرِّجَالِ وَمَنْ رَامَ مَوْتاً شَرِيفاً فَذَا
وَأَحْمَى حَيَاضِي بِحَدِّ الحُسَامِ فَسَيَعْلَمُ قَوْمِي بِأَنِّي الْفَتَى

(محمود، ٢٠٠٩: ص ٤ و الجيوسى، ص ٤٢٨ - ٤٢٩)

و لهذه الأهمية التي أولاها الإسلام مكانة الشهادة و الشهيد، فقد ظلّت الشهادة طوال العصور الإسلامية رمزاً للبطولة الحقّة و التفانى المطلق فى سبيل الوصول إلى إرضاء الله و إلى إعادة الحياة الإسلامية. (الساريسى، ١٩٩٦م: ص ١٠٩)

ب) تكريم الشهيد و تصوير خصاله و سجايه

ذكرنا فى المقدمة أنّ الشعر العربى الحديث، ملئ بالمشاهد الشعرية الرائعة و اللوحات الفنية الفريدة عن حكايات الشهداء و تكريم مكانتهم الرفيعة. فها هنا نستعرض بعض هذه اللوحات التي قد ضمّتها الشعراء تكريمهم لهؤلاء الأبرار و سرد خصالهم و شمائلهم المنعكسة فى مرايا أشعارهم.

فلنبداً بإبراهيم طوقان، شاعر المقاومة الفلسطينى، الذى كان فى طليعة الشعراء الكبار الذين صوّروا المأساة الفلسطينية أبداع تصوير و الذى برع فى التعبير عن مطامح شعبه المعذب، فى شعر جديد يمتاز بقوة النبرات و قصر العبارات و براعة الصور الفنية و توتر العاطفة (الحكواتى، و جابر، ٢٠٠١م: ص ٧) إلى أن جعله شاعراً ملتزماً بمعناه الحقيقى. و من مظاهر التزامه، احتضانه كلّ عمل وطنى و تغنيه بكلّ بادرة من بوادر التضحية و الفداء، و بدماء الشهداء التي تراق فى سبيل القضية المقدسة، على نحو ما نجد فى قصيدتي «الثلاثاء الحمراء» و «الشهيد».

أمّا قصيدة «الثلاثاء الحمراء» فقد نظمها طوقان فى عام ١٩٣٠م على أثر حكم بالإعدام نفذته السلطة البريطانية بحق ثلاثة من ثوار فلسطينيين، هم فؤاد حجازى و محمد جمجوم و عطا الزير.

هذه القصيدة تتألف من خمسة أقسام، هي المقدمة، و الساعة الأولى، و الساعة الثانية و الساعة الرابعة و الخاتمة.

أما المقدمة، فتفتح في أربعين بيتاً و هي تتحدث عن فظاعة الحكم الذي نفذته السلطة البريطانية العاشمة بإعدام ثلاثة كانوا يناضلون في سبيل الحق، بجو حزين يحتج على هذا الظلم. و تشمل على مواقف وطنية و انسانية بارزة، من مثل قوله:

عجباً لأحكام القضاءِ فأخفها أمثال ظلم سائره
 وطن يسيرُ إلى الفناءِ بلا رجاءِ
 والداءُ ليس له دواءُ إلا الإيباءِ
 إن الإباءَ مناعةٌ إن تشتملُ نفسٌ عليه تمتُ ولما تُقهرِ

(طوقان، ٢٠٠٢م: ص ٧٥)

و أما الساعة الأولى، فهي الساعة التي خصّصت لإعدام فؤاد حجازي و يقع عنها الحديث في عشرة أبيات، حيث يصف الشاعر هذه الساعة بأنها «ساعة النفس الأبية» و أنها بكر الساعات الثلاث، و بنت القضية الكبرى و بأن لها في هذه القضية أثراً جليلاً؛ فقد أودعت في مهج الشيبية، نفحة الروح الوقيّة و صعدت إلى جنات الخلود راضية. و يختم طوقان الساعة الأولى بقوله:

عاشت نفوسٌ في سبيِّ ————— ل بلادها ذهبَتْ ضحيّة

(المصدر نفسه، ص ٧٦)

و الساعة الثانية، هي ساعة إعدام محمد مجموع و هي عشرة أبيات أيضاً، وصفها الشاعر بأنها ساعة الرجل العتيد و ساعة البأس الشديد و ساعة الموت المشرف و قد حطّم مجموع فيها قيوده ليسبق صاحبه إلى الموت، فكانت هذه الساعة رمزاً لتحطيم القيود، و لتراحم المناضلين إلى شرف الخلود، و لاريب في أنها قدحت في مهجة الشباب شرارة العزم، و علمته ألا يخدع بالوعود أو يخدر بالعهود. و يختم طوقان الساعة الثانية بقوله:

ما نالَ مَنْ خدَمَ البلادَ أجَلَ مَنْ أجزَرَ الشهيدِ

(نفس المصدر، ص ٧٧)

و أما الساعة الثالثة، فقد أعدم فيها عطا الزير، و تقع في عشرة أبيات كذلك، و قد وصفها الشاعر بأنها ساعة القلب الكبير و الرجل الصبور الذي أضحى رمزاً للثبات في الأمور الوطنية الخطيرة و ترك أولاده أشبالاً صغاراً ليموت من أجل وطنه و لسان حاله يقول:

ما أتقذ الوطن المفدى غير صبار جسور

(المصدر نفسه، ص ٧٧)

ثم تأتي في النهاية، خاتمة القصيدة و هي تقع في خمسة أبيات تتحدث عن أرواح الشهداء الثلاثة و قد سعدت إلى ملكوت السماء، تاركة أجسادهم في تربة الوطن، متخلصة من الظلم و الطغيان، ناعمة بالطمأنينة، و فيض العفو و الغفران.

ونصل إلى قصيدة «الشهيد»، فإذا هي نشيد يمجّد الشهادة؛ نظمها إبراهيم طوقان سنة ١٩٣٤ في الذكرى الرابعة لشهداء «الثلاثاء الحمراء» و قد صور فيها الشهيد مقتحمًا هول الردى، رابط الجأش، مبتسماً، لايبالي بالأذى، و لا يثنيه الألم عن عزمه. نفسه طوع همته، تتحدى الحمم و الأعاصير، و تضم في ثناياها هوج البحار و شم الجبال الرواسخ:

عبس الخطب فابتسم	وطغى الهول فاقتحم
رابط الجأش والنهي	ثابت القلب والقدم
لم يبال الأذى ولم	يثنيه طارئ الألم
نفسه طوع همته	وجمت دونها الهمم
تلتقى في مزاجها	بالأعاصير والحمم
تجمع الهائج الخضم	إلى الراسخ الأشم
وهى من عنصر الفدا	ء ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة	لفحها حرر الأمم

(طوقان، ٢٠٠٢م: ص ٨٤ و أبو حاقه، ١٩٧٩م: ص ٢٧٦، ٢٧٨ - ٢٨١)

و يمضى في تصوير الشهيد سائراً في طريق العلا، طارقاً باب الخلود، غير مبال بما ينتظره، سواء بلغه مكبلاً أو مجدلاً. و الشهيد في شعره مثل أعلى في الالتزام، «فهو رهن بما عزم» و هو قدرة لكل مواطن و نموذج للإنسان الذى سمت نفسه فوق كل عرض من أعراض الدنيا، فما عاد شىء يُغريه سوى الموت من أجل قضيبته:

سار في منهج العلى	يطرق الخلد منزلاً
لا يبالي، مكبلاً	نالته أم مجدلاً
فهو رهن بما عزم	

ربما غالته الردى وهو بالسجن مرتهن

لم يشيخ بدمعة	من حبيب ولسا سكن
ربما أدرج التراب	سلياً من الكفن
لست تدري بطاؤها	غيبته أم القن
لا تقل أين جسمه	واسمه فى فم الزمن
إنه كوكب الهدى	لاح فى غيب المحن
أرسل النور فى العيون	فما تعرف الوسن
ورمى النار فى القلوب	فما تعرف الضغن

(طوقان، ٢٠٠٢م: ص ٨٤-٨٥)

و هكذا يتحوّل الشهيد فى شعر إبراهيم طوقان إلى كوكب متألق، يسطع نوره فى ظلمات المحن، فيبهر عيون الناس، و يوقظها من غفلتها، و يحرك فى النفوس همّ القضية الوطنية، فيبعث فيها القلق و الأمل فى آن، و يطهر القلوب من أضغانها و يضحى لحناً يطير فى أفواه الناس، و على شفاههم:

أى وجهه تهللاً	يرد الموت مقيلاً
صعد الروح مرسلاً	لحنه ينشد الملا
إننا لله والوطن	

(المصدر نفسه، ص ٨٥ و أبو حاقّة، ١٩٧٩م: ص ٢٨١-٢٨٢)

و ثمة شاعر آخر، ملقب بشاعر القدس، هو داود معلّا^١ فزى فى قصيدته «الشهيد و الفأس» أنّ الشهداء يصبحون نجومًا تخرّ من غيمة حمراء، و نرى كيف يشرب أبناء الوطن و يدفعون ظمأهم حينما تحزّبهم ظروف الظمّ و الحاجة! إنهم يقضون حاجاتهم على أيدي صغار شهداء الحجارة و أدناهم يسعى بذمة هؤلاء الأبطال:

أواه يا بلدى و حبك غيبة	حمراء تنثر فى ثراك الأنجما
ظمت شفاه بنيك فاعتصرت دمًا	من ساعد يحمى الشفاه من الظما

و فى القصيدة نفسها يقول:

أطفالنا يا قدس، صار سلاحهم	دمهم فحق لأرضهم أن تسلما
زرعوا سواعدهم جذوراً فى الثرى	و سقوا أصابعهم فصارت موسماً

(معلّا، ١٣٨٨هـ.ش: موقع رابطة أدباء الشام، <http://www.odabasham.net/cat.php?catid=15>)

وكذلك نجد الصورة بارزة في كثير من مواضع ديوانه، من مثل قصيدة أم الشهيد و قصيدة
تباريح بوجه خاص. (عمر عبد الرحمن الساريسي، ١٩٩٦م: ص ٩٥-٩٦) إلى أن نراه في مهرجان
الجنادرية في السعودية، يُظهر في قصيدة خوفه من ألا يكون شهيداً:

يا قدس ضمّيني فأني خائف أأنا أكون على ثراك شهيداً

(البوريني، ١٣٨٨هـ.ش: موقع رابطة أدباء الشام، <http://www.odabasham.net/cat.php?catid=15>)

و لو انتقلنا إلى الحديث عن أحمد زكي أبي شادي^{١١}، لوجدناه يُصوّر الشهداء كداود معلماً في
صورة الأنجم، فيما يعكس تكريمهم و إثارة الأمة نحو الانطلاق إلى الحرية من أبيات قصيدته
«ذكرى الشهداء»:

ذكرى يُرددها الزمان الوافي ألقُ الشموس لها من الأفوافِ
اليومُ يومٌ صلاتنا لجلالها واليومُ تُقرؤها الحنان الوافي
وعلى الثرى نجشو تقبل تربةً عقيت بحر شعورها الرفافِ
هذى مقابرهم وتلك دماؤهم مثل النجوم ونورها الشفافِ
يا أمة الأحرار دومي حُرةً والتضحيات لك الجلال الكافي
وبحسب الشهداء ضمّ ذكرهم هذا الأثير وشاع في الألفافِ

(أبو شادي، ٢٠٠٩م: ص ٨٥ و خفاجي، ١٩٨٦م: ص ٤٧٠)

و تتكرر صورة الأنجم نفسها للشهداء في شعر شاعر آخر ملتزم وطنيته، ألا وهو الشاعر القروي
الذي تميّز قصائده الوطنية بحرارة خاصة تفتقدها وطنيات زملائه. (محفوظ، ١٩٩٨م: ص ٥٩).
و في قصيدة يرثي فيها الشهداء العرب الذين أعدمهم السفاح التركي جمال باشا، نراه يُعدّ
السلام على الشهداء خير المطالع و يدعونا إلى تبجيلهم و إجلالهم كما يُشبههم بالأنجم الساطعة
التي تزهر في سماء الوطن و تهدى الشعب الضليل:

خير المطالع تسليم على الشهداء أزكى السلام على أرواحهم أبدا
فلتنح الهام إجلالاً و تكريمة لكل حرّ عن الأوطان مات فدا
يا أنجم الوطن الزهر التي سطعت في جو لبنان للشعب الضليل هدى
قد علقتكم يد الجاني ملطخة فقدمت بكم الأعواد و المسدا

(خفاجي، ١٩٨٦م: ص ٣٤٢٠)

و في قصيدة «شهداء الانتفاضة» ترسم فدوى طوقان^{١٢} أيضاً صورة الأنجم نفسها للشهداء

الذين رأوا أن لا سبيلَ للحياة الحرة الكريمة بغير الحرية، فرسموا طريقهم و عزموا أمرهم مضحين بكل غال و نفيس:

رسموا الطريق إلى الحياة
 رصفوه بالمرجان، بالمهيج الفتية بالعقيق
 رفعوا القلوب على الأكف حجارة، جمرا، حريق
 رجموا بها وحش الطريق..
 واشتدت و ماتوا واقفين
 متألّقين كما النجوم

متوهجين على الطريق، مقبلين فم الحياة (طوقان، ١٩٩٣م: ص ٥٤٠ - ٥٤١ و فتحية، ٢٠٠٥م: ص ١٦٧)

ولقدوى طوقان ديوان نشر سنة ١٩٦٩م عالجت فيه الشاعرة موضوع المقاومة الفلسطينية و أهدته إلى الفدائي الفلسطيني. (غريب، ١٩٨٠م: ص ١٠٢)
 و يسير على نهج هؤلاء الشعراء، بصورة أو بأخرى في هذا المجال الشعري، عبد الرحمن بارود^{١٣} و إذا تصفحنا أوراق قصائده في هذا الشأن، رأينا أن الشهداء فيها، هم ما يمكن أن يُطلق عليهم اسمُ «السرب المعشوق». فهم عنده «الأحبة» و «الصحب» و «الأحباب» و «البدور» و «الطيور الخضر» و «العناقيد المعلقة بالعرش». فهو يفتتح قصيدة «جدّ الرحيل» بهذا المطلع:

جدّ الرحيل و فاتتى صحبى و ركوبتى إن تعد تظلع بى
 أهوى اللحاق بهم، و تبعمهم عينى، و يركض خلفهم قلبى
 إنه يركض خلفهم بلهفة المشوق المسبوق. و منها

يا ربّ قد أخلصتكم فنجوا فمتنى تمنّ علىّ يا ربى؟
 أطلق جناحى يا كريم من الشرك القديم أطر إلى سربى؟
 إنه يدعو الله أن يرزقه الشهادة ليلتحق بأحابيه و معشوقته:

أهواك يا آثار أحابى و جناح طير عنهم يبنى
 و فى قصيدة «غريب الديار» يُشبههم بالبدور علواً و صفاءً:

ربح البيع يا بدور و هدت مضغة اللحم كبرياء الحديد
 و فى قصيدة جد الرحيل، يراهم أنهم فى مكان قريب من الحضرة الإلهية فى الحياة الآخرة:

أهوى قناديلا معلقة بالعرش، تقبس من سنا ربي
و لهذا نلاحظ أن هؤلاء الشهداء هم الصفوة المختارة المقربة إلى الله - سبحانه - فكيف يتساوى
معها غيرها؟

ما تساوى ضارع فى ضريع و طيور فى القناديل خضر
(قصيدة الطيور الخضر)

بل لا يعدل الشاعر بالواحد منهم عدداً كبيراً من الرجال:

ربّ ألف من الرجال بظفر من الشهيد تخطفته الطيور
(قصيدة غريب الديار) (بارود، موقع الشاعر عبد الرحمن بارود و الساريسى، ١٩٩٦م: ص ١١٠ - ١١١)

و فى هذا النطاق الشعرى، تقع أيضاً قصيدة «النائحة» لجميل صدقى الزهاوى^{١٤} التى نظمها
على أثر ما قام به جمال باشا من إعدام جماعة من المناضلين العرب فى مستهل الحرب العالمية
الأولى و مطلعها:

على كل عود صاحب و خليل و فى كل بيت رنة و عويل
و قد ضمّنها وصفاً لأحزان الناس على أوطانهم من جهة و على الشهداء الذين قضاوا فى سبيل
الأوطان من جهة ثانية و تحدّثت عن عملية الإعدام بالشنق. فبدأ له أن كل شهيد قضى على
المنشقة، هو نجم ساطع يضىء للأجيال طريقها إلى المجد، و أن الجدوع التى علّقوا فوقها، ما هى
إلا منابر انطلقت منها خطبُ الاعتزاز و الفخر، قائلة لكل مواطن عربى:

سمو كما شاءت نزاراً لولدها و بعد كما شاء الفخار و طول
ثم تحدّث الزهاوى عن رحلة الشهداء من وادى الحياة إلى الموت و عن سيرهم فى سبيل
الحق، يحدوهم الردى «و للحق بين الصالحين سبيل». و وصف الخطب الجليل الذى نزل بالعرب،
و أحقاد الأتراك و انتقامهم و القبور التى وارت الشهداء فى بيروت و جلق و أشار إلى أن
المصيبة الكبرى، ليست فى موت هؤلاء الشهداء فقط، بل بما أصاب العرب فى صميم كرامتهم و
حرّيتهم و كبريائهم القومى.

فقط يتناسى المرء غيبة واحدٍ مضى فى سبيل الحقّ و هو قتيلى
و لكنّ خطباً قد ألمّ بأمّة و أفجع شعباً إنّه لجيل

(الزهاوى، ٢٠٠٩م: ص ٢٨٤ و أبو حاقه، ١٩٧٩م: ص ١٤٤ - ١٤٥)^{١٥}

و ممّا يسترعى انتباهنا ههنا، أن ما يهيمّ الزهاوى هو أن يتّخذ من حادثة الشهداء موضوعاً

لقصيدة قومية تتبر الأمة نحو التحرر و الاستقلال من مظالم العثمانيين التى خيمنت على البلاد طوال العهد التركى. ذلك بأن الزهاوى كان شاعراً ملتزماً فى تفكيره و مواقفه و أشعاره كلها جمعاء. (أبو حاققة، ١٩٧٩م: ص ١٤٤ - ١٤٥)

و أما سميح القاسم^{١٦} شاعر المقاومة الشهير الذى نظم قصائد مختلفة فى الدفاع عن وطنه فلسطين المغتصبة و مقارعة الغاصبين لها (نظام طهرانى و واعظ، ١٩٩٢م: ص ٨٨) فله مشاهد شعرية رائعة عن الشهيد و الشهادة، تمتاز بسمو جمالها و عمق معانيها. وفى القصيدة التالية، يذكر استلهاهم الشعب من الشهداء و أن جبهة السفاح لا تعدل جبهة الشهداء، بل إن نعل الشهيد أعز منها و أكرم؛ بينما هو يذكرنا بأبدع صورة، أن دم الشهيد رسالة نبوية، فلنصل و لنسلم على روحه الرفيعة.

و لكم وقفنا بالقبور و إننا
يا جبهة السفاح لا تتسامخى
و دم الشهيد رسالة نبوية
صلوا على روح الشهيد و سلموا

و فى قصيدة أخرى يتمنى أن يمتلك قدرة الشهيد:

أبى الغالى
تطلع مرة أخرى
لتبصر مرة أخرى

و هبنى قدرة الشهيد (سميح القاسم، ١٩٩٣م: ص ٤٩، ٤١٥، ٤١٧)

و لا تغيب عن ذاكرتنا فى هذه السطور، الشاعرة نازك الملائكة^{١٧}، الرائدة من رواد الشعر الحرّ التى لها قصائد قومية مختلفة تعكس اتجاهاتها القومية. (خليل جحا، ١٩٩٩م: ص ٣٥٨، ٣٦١) منها قصيدتها «الشهيد» التى يبدو أنها استوحيت من الأحداث السياسية، تركز على فكرة: خلاصتها أن كيد الظالمين يرتد إلى نحورهم و أن الشهادة تذكى نار الكفاح فى الشعوب بدلاً من أن تطفئها:

منحوه حين أردوه شهيدا
ألف عمر و شباباً و خلودا ...
إنه عاد نبيا
و هو قد أصبح ناراً تتحرق
فى أمانينا و ناراً يتشوق

و غداً يبعث حياً (نازك الملائكة، ١٩٧١م: ج ٢/ ص ٢٣٨ و غريب، رز، ١٩٨٠م: ص ١٥٠)

و فى النثر الشعرى التالى لمارى عجم^{١٨} تخاطب الشاعرة الشهداء و تدعوهم هى و الطبيعة إلى الرجوع، لأن الأمة ضلت الطريق و لا تريد أن تعرف قيمتهم و اتخذت أحباباً من بعدهم

يراوغونها. فيترأى الشهداء في قولها كمصلحين مُنجين لا يتمّ الإصلاح إلا بيدهم. و واضح أنّ مارى عجمى تريد بهذه التصاوير معاتبة أبناء الأمة على ركودهم و خزيهم و على ألسا يقوموا بالسير على مسلك الشهداء:

أما تبرحون غارقين في رقادكم أيها النائمون ؟
قوموا فقد نمتم نوما طويلاً
و الجداول تنادىكم أن هيا عودوا إلينا
قوموا فإن الأمة التي تعرفتموها لا تريد أن تتعرفكم
لقد اتخذت لنفسها أحباباً من بعدكم يراوغونها مراوغة الثعالب (المصدر نفسه، ص ٦٠، بالنقل من مجموعة مختارة من شعر مارى عجمى)

و إذا كان أكثر الشعراء سائرين على نهج مشترك في تصوير الشهيد و تبين مكانته الرفيعة، فإن محمود درويش^{١٩} يختلف عنهم بعض اختلاف بصوره البديعة عن الشهيد و الشهادة و تتمثل هذه الاختلافات و الافتراقات في اللاءات التالية:

١. لا بكاء على الشهيد

٢. لا تمجيد لأعمالهم السابقة

٣. لا عزاء لذويهم

٤. لا تهديد بالانتقام لهم

ذلك أنّ رثاء درويش للشهداء، هو محاولة للتعامل مع الموت (الشهادة) لتحويله إلى قوة حركية فعالة في المجتمع، و توليد قوة حياتية من قوة الشهادة نفسها.

و تتجلى مظاهر القوة الحياتية المتولدة من قوة فعل الشهادة، فيما يلي:

١. الدعوة إلى استمرارية الحياة بعد موت الشهيد، باعتبار أنّ موت الشهيد، يعني في نفس الوقت، انتهاء خطوة و بداية خطوة. فموت الشهيد لا يعني توقّف الحياة، بقدر ما يعني دفعها إلى الأمام:

نعيش معك

نسير معك

نجوع معك و حين تموت

نحاول أن لا نموت معك

ففوق ضربحك ينبت قمح جديد

و ينزل ماء جديد

و أنت ترانا

نسير

نسير

نسير (درويش، ١٩٨٩م: ص ٣٦٢)

و فى مكان آخر:

نمشى لكى نمشى أمين حقّ النشيد على الشهيد
أن يكسر السكين فى دمه، و يتركه على صدأ الحديد

و ممّا هو بدهى، أن درويشاً يستبدل كلمة (نسير) بكلمة (نمشى) تأكيداً لمعنى الحياة المتولدة من قوة الشهادة.

فلهذا، أن الشهداء فى الحياة و أنّهم لم يموتوا بل انتقلوا إلى مرتبة جديدة من الحياة^{٢٠}، يواصلون رسالتهم فيها بشهادتهم المتحوّلة بعدهم إلى قدرات فاعلة تعمل عملها فى الأحياء الباقين. لذا، إنهم أحياء بيننا، يخرج الشعر من بين أصابعهم و من صدورهم و شعاع عيونهم. و فى قصيدة «أحمد الزعتر» و هى فى وجهها الآخر، رثاء جماعى لكل الذين استشهدوا فى تل الزعتر - دعوة أخرى للحياة بعد نوم الشهداء، و لا تأخذ شكل السير أو المشى - كما قرأنا قبل قليل - و لكنها تأخذ شكل الدعوة إلى المقاومة / الحياة المستمرة:

إذهب عميقاً فى دمي

إذهب سلالم

يا أحمد العربى ... قاوم

ثمّ يعود درويش من جديد إلى دعوة السير، كما بدأ:

فاذهب عميقاً فى دمي و اذهب عميقاً فى الطحين

لنصاب بالوطن البسيط و باحتمال الياسمين (درويش، ١٩٨٩م: ص ٦٠٦)

و نقرأ فى القصيدة نفسها:

يا أيها الولد الموزع بين نافذتين

لا تتبادلان رسائلنى

قاوم

يا أيها الولد المكرس للندى

قاوم

يا أيها البلد - المسدس فى دمي

قاوم
يا أحمد العربي .. قاوم
لا وقت للمنفى وأغنيته

و درويش يؤكد على هذه المعاني، لكي يرسخ أن العدو لا يمكن له أن يعبر البلاد إلا على جثث الشهداء، بالرغم من علمنا أنه منتصر في النهاية.

٢. المظهر التالي المتجلى في القوة الحياتية المتولدة من قوة فعل (الشهادة)، هو ما يقوله درويش للأحياء من خلال الشهداء، أو بعبارة أخرى كيف يتحول موتهم إلى قوة حركية فاعلة، تفعل فعلها في الأحياء الباقين. وفي الأبيات التالية، يأتي فعل الشهادة في الأحياء الباقين، على شكل روح متدفقة من التحدي الذي يدفع بالحياة إلى الأمام دائماً:

أنا أحمد العربي - فليأت الحصار
جسدى هو الأسوار - فليأت الحصار
و أنا حدود النار - فليأت الحصار
و أنا أحاصركم
أحاصركم

و صدرى باب كل الناس - فليأت الحصار (درويش، ١٩٨٩م: ص ٥٩٨)

٣. إن قوة الحياة المتولدة من قوة فعل الشهادة، اتجة عن أن العربي الفلسطيني لا يملك غير دمه غطاءً لوطنه، و هذا الدم هو بمثابة غطاء الذهب، أو غطاء الثروات الطبيعية الأخرى، لذا فإنّ العربي الفلسطيني لا يملك إلا شهادته، لا يملك إلا دمه الذى يولد منه، حيث لا احتمال إلا في هذا الدم، و لا انبعاث إلا في هذا الدم، و لا تجدّد إلا في هذا الدم، و من هنا أطلق درويش صفة «الأخضر» على الدم، هذا «الأخضر» الذى يكمن فيه سرّ حياة العربي الفلسطيني المتجددة:

انك الأخضر، لا يشبهك الزيتون، لا يمشى إليك
الظل، لا تتسع الأرض لرايات صباحك
و وحيداً فى انعدام اللون
تمتد من اليأس إلى اليأس
وحيداً و غريباً كالرجال الآسيويين
إنك الأخضر، من أول أم حملتك الاسم حتى
أحدث الأسلحة
الأخضر أنت الأخضر الطالع من معركة الألوان
إنك الأخضر مثل الصرخة الأولى لطفل يدخل العالم ...

و يتأثر الانسان و يحزن عميقاً و ربما يموت و يعيش مع الشاعر، عندما يواصل قراءة الأبيات السابقة و يشاهد هذا التعامل الروحى بين درويش و الشهيد:

و نشيدى لك يأتى دائماً أسود من كثرة موتى قرب نيران
جراحك

فلتجدد أيتها الأخضر موتى و انفجارى (درويش، ١٩٨٩م: ص ٦٣٢ - ٦٣٣)

و هاهنا يجدر بنا الإشارة إلى أن الموت بالنسبة إلى درويش، هو موت الشهداء فقط، هو الفعل الانسانى الذى يتم للحصول على الشهادة. فعلى هذا، فإن تمجيد الشهادة من قبل درويش، هو تمجيد للحياة ذاتها. (النايلسى، ١٩٨٧م: ص ٤٠٥، ٤١٢ - ٤١٨، ٤٢٩)

و فى هذا المجال الشعرى يقترب حلمى مرزوق^{٢١} من محمود درويش بعض اقتراب، إذ إنه لا يرثى شهداء الظلم و الطغيان السياسى و الاجتماعى فى عهد الظلم و الطغيان، بل يصورهم تصويراً خاطفاً ليوفر جهده و طاقته الانفعالية على إثارة نخوة الرجولة فى القلوب للتأثر، و الانتصاف من الظلم و الطغيان.

و هو عندما يتحدث عن استشهادوا فى سبيل الوطن على المشانق لا يقول:

«علو فى الحياة و فى الممات»

و إنما يستثيرنا كيلاً يصيب دم هؤلاء الشهداء هدرأ و كى يتحقق الهدف النبيل الذى قدموا حياتهم قرباناً له، فيقول على لسان أولئك الشهداء:

إن أنا غيبت، يا مصر، فمن جوف التراب

سوف تحيا روحى الحسرة فى عزم الشباب

و عليها من بقايا الظلم أسواط العذاب

و جنت أمى ثكلى، تمسح الدمع بقبرى

صاح فيها دمي الموتور يدارك ثأرى

سوف تحيا روح الحرة فى هذا الألم

سوف تحيا فى الدم النائر من تلك الجراح

سوف تحيا، سوف تحيا، سوف تحيا، لا بصدري

إنما تحيا و إن طال المدى فى صدر غيرى (مرزوق، ١٩٨٣م: ص ١١٤ - ١١٥)

ج) صورة الشهداء الكبار و رمزيّتهم

قد نعرض فى الشعر العربى المعاصر على نماذج شعرية يستلهم فيها الشعراء الشهداء المسلمين

الكبار و يصورونهم أبداع صور رائعة، تحفيزاً و رفعا لهمم التوار و المناضلين، كما يتخذونهم رمزاً لمقاصدهم القومية و الثورية.

و فى هذا النطاق، تعدّ تصاوير الإمام الحسين سيّد الشهداء (عليه السلام) خير نماذج. و نحن نأتى على سبيل المثال ببعض أبيات مختارة من قصيدتى «الكلمات» و «مرآة الشاهد» لأدونيس^{٢٢}؛ حيث يُشهد الشاعرُ الكلماتِ على شهادة الحسين و هى باكية جارية مع الفرات و دجلة:

كلماتُ

شهدت جثة الحسين

و هى تبكى و تجرى مع الرافدين

متُ فى حضنها و عشتُ

و طمرتُ شرايينها و نبشتُ (أدونيس، ١٩٩٦م: ج ١/ ص ٣٣٥)

و فى قصيدة «مرآة الشاهد»: يعطينا أدونيس لوحات وجدانية حزينة تفيض عشقاً بين القارئ و الإمام الحسين (عليه السلام) ممّا يجعله يشعر بهذه الكارثة الكبرى بصميم قلبه و يتوجّع لها عميقاً، بينما يشاركه فى هذا الحبّ و الإحساس الأليم، كلُّ حجرٍ حان على الحسين (عليه السلام) و كلُّ زهرة نائمة عنده و كلُّ نهرٍ سائرٍ فى جنازته:

و حينما استقرت الرماحُ فى حشاشة الحسين

وازّينت بجسد الحسين

وداست الخيولُ كلَّ نقطةٍ

فى جسد الحسين

واستلبت و قُسمت ملابسُ الحسين

رأيتُ كلَّ حجرٍ يحنو على الحسين

رأيتُ كلَّ زهرةٍ تنامُ عند كنفِ الحسين

رأيتُ كلَّ نهرٍ

يسير فى جنازة الحسين (أدونيس، ١٩٩٦م: ص ٣٩٤ و عرب، ١٣٨٣هـ.ش، ص ٢٦ - ٢٧)

و لا بدّ أنّ نسى أنّ تكرار كلمة الحسين فى هذا المقطع الشعرى يدلّ على زيادة التوجّع و التفجّع، كما أنّه يُفصح عن شدّة حبّ الشاعر للإمام الحسين (عليه السلام). و هذه الأبيات كلّها تنبض بالصدق و الحنين و تُعتبر من أروع قصائد أدونيس فى هذا الشأن؛ لما حوت من صورٍ شعريّة بديعة فى جمالها، متفرّدة فى معانيها و تدلّ على خصوبة خيال الشاعر فى خلق هذه الصور البديعة.

و هاهنا اكتفينا بهذه النماذج لأن الاسترسال فيها يُخرجنا عن حدّ الإشارة و إلّا فدواوين الشعراء مليئةٌ بهذه الصور الرائعة للإمام الحسين (عليه السلام).
 وأمّا من القصائد التي تدلّ على الاستلهام من الشهداء و ترميزهم عند الشعراء، فقصيدتا «فلسطين» و «الطيور الخضراء» لعبد الرحمن بارود^{٢٣}.
 و في هاتين القصيدتين، يُجدّدُ الشاعرُ معركةَ بدر التي قد أصبحت رمزاً لانتصار جديد يحرزه الإسلام و المسلمون على الأعداء من المشركين، على اختلاف دياناتهم، و المناققين و الغافلين، بصورة بدر الجديدة و يستعدى جنود بدر، لعلاج أدواء الزمن الحاضر:

يا عهود الضياع و الموت و الأوّ ثان و القهر و الدجى و السهاد
 برقت بدر الجديدة هذا الشرق يصحو على سهيل الجياد

(قصيدة فلسطين)

يا جنوداً خلقوا فى زمان تتراءى منه كالبدر «بدر»
 سيذوق الموت طعناً و حرقاً اخطبوط ما خلا منه شبر
 و يرى العمى الدمى و هى تهوى و حطام السلات ظهرأ يجر

(بارود، موقع الشاعر عبدالرحمن بارود، <http://www.dr-barood.net/index.php> و الساريسى، ١٩٩٦م: ص ١١٣)

(د) الحوار بين الشهيد و الطبيعة

و من الموضوعات الرائعة التي تستوقفنا فى هذه المشاهد الشعرية، هى المحاوراة التي يُديرها الشاعر بين الشهيد و الطبيعة و مظاهرها. منها قصيدة «الشهيد و شجرة الزيتون» التي جرت على لسان داود معلّأ^{٢٤}، فهو يدير فى هذه القصيدة حواراً بين الشهيد و شجرة الزيتون. فنلاحظ أن أوراق الزيتون تقبلُ الشهيد و تُكرّمه و تسقيه و تحبب ذكراه، و يمدّ الشهيد يديه إلى جذور الشجرة و يحتضنها كما تمدّ الشجرة جذورها إليه و تحتضنه. و هكذا تُخلّق صورةً من ملحمة الصمود و تحقيق الذات و صورةً من صور الالتحام بين الفروع و الأصول، بين الشهداء و أرض الفداء:

ليبك وارتعشت تقبلنى أوراقها الخضرا و تسقينى
 و تفىء لى من فيئها سكنأ و أنا على أبواب تشرين
 يا شجرة الزيتون أى يد قبّلت راحة كفها دونى
 أهوى إليك فإن وقعت على هذا التراب فذاك يكفينى
 أطوى على تلك الجذور يدى وأشهدا نحوى فتطوينى

(معلّأ، داود، موقع أدباء الشام <http://www.odabasham.net/cat.php?catid=15> و الساريسى، ١٩٩٦م: ص ٩٣ - ٩٤)

و فى شعر عز الدين المناصرة^{٢٥} نلاحظ علاقة وجدانية بين الشهيد و الأرض. فها هو الشهيد باجس أبو عطوان، يحاور صخور الأرض، فتجيبه الصخور، فينبجس بل يتفجّر منها صدى الاستجابة:

باجس ما زال يحاور صخر الوعر، فتنبجس الأصوات
يتغرل بالدالية المغرورة، يتمختر فى الطرقات

أو ليست هذه المحاوره صورةً من التوحّد و الانصهار و العشق بين الأرض و الشهيد؟ و لا يكتفى الشاعر بهذه الإثارة التصويرية، فقد أضاف إثارة لغوية من خلال بنية التجانس بين اسم الشهيد (باجس) و الفعل (تنبجس). فكأنّ العلاقة بين الشهيد و الأرض متجانسة متناغمة إلى مستوى التجانس اللفظى بين الاسم و الفعل الذى يمثّل من الناحية اللغوية الاشتقاقية علاقة الأصل بالفرع و هذه العلاقة الأخيرة هى علاقة توليد و تناسل، فإذا كانت الأرض هى الأصل الرحم الأمّ، فإنّ الشهيد باجس هو الفرع المولود الابن.

(عتيق، عمر عبد الهادى، ١٣٨٨هـ.ش، صورة الشهيد فى ديوان عز الدين المناصرة، موقع منابر

تقافية، <http://www.odabasham.net/show.php?sid=5366>)

هـ) التعرّف فى التصوير و الغفلة عمّا هو أهمّ

إذا بذل الشعراء كلّهم قصارى جهدهم فى تصوير الشهيد و الشهادة كما لاحظنا فى السطور السابقة، فتمّة شعراء قليلون، قد غفلوا فى تصويرهم عن الشهيد و الشهادة، عمّا هو أهمّ، فتعسّفوا فى أقوالهم و تعرّثوا. فمنهم صلاح عبد الصبور^{٢٦} فى قصيدته «شوق زهران» حيث لا يستطيع أن يصوّر لنا صورة الشهيد الحقيقية و خصائله و أهدافه النبيلة التى يقدم حياته قرباناً لها.

وإليك نصّ النموذج:

١. كان زهران غلاماً
٢. أمه سمراء و الأب مولدٌ
٣. و على الصدر^{٢٧} حمامة
٤. و على الزند أبوزيد سلامه
٥. مُمسكاً سيفاً و تحت السيف نقشٌ كالعلامة^{٢٨}
٦. اسم قريه
٧. دنشواى
٨. مرّ زهران بظَهْرِ السوق يوماً

٩. ذات يوم
 ١٠. و اشترى شالاً مُنَمَّماً
 ١١. ومضى يختالُ عُجبا
 ١٢. مثل تركيٍّ مُعَمَّم
 ١٣. و يجيل الطرفَ ما أحلى لحياءه^{٢٩} (الصبور، ١٩٧٢م: ص ١٨ - ١٩)

في هذه القصيدة، يريد صلاح عبد الصبور أن يقدم لنا شخصية زهران قبل أن يصبح شهيداً؛ أى أن يقدم لنا فى شخصه جملة من الخصال و القيم و المثل التي ستغتنال معه لحظة استشهاده، فماذا قدم لنا الشاعر من كل ذلك فى هذا المقطع؟

أجل، إنه يقدم فى القسم الأول من هذا المقطع، أى من الأسطر ١-٧، بطاقة شخصية عن الشهيد:

الاسم: زهران، الأم: سمراء، الأب: مولد، السكن: قرية دنشواى

الأوصاف الجسدية: على الصدر حمامه (وشم) و على الزند أبوزيد سلامه يُمسك سيفاً (وشم).
 إن الأمر، إذن يتعلّق بطاقة تعريف، كسائر البطائق التي تُقدّم للشرطة، سيّما إذا عرفنا أن ممارسة الوشم هى الفنّ الأثير عند السُجناء، يزخرفون به أجساد بعضهم بعضاً. و هو عند الشرطة من دلائل إثبات السوابق و ليس من صفات الأبطال الوطنيين، حتى لو تعلّق الأمر بالحمامة رمز السلام أو بالسيف رمز التحرير.

فأين هى القيم و المثل و الخصال التي ستغتنال مع الشهيد، لترفع حجم الحادث إلى مستوى الفاجعة قومياً و انسانياً؟ و بأى وسائل شعريّة أمكن للشاعر أن ينقل إلى أنفسنا حرارة هذه الفاجعة، تلك أسئلة لا يجيب عنها القسم الأول من المقطع.

فأمّا القسم الثانى، فهو يتعلّق بمفهوم الحياة، لأنّ قيمة هذه الحياة هى ثمن الاستشهاد، وإنما تستمدّ من طريقة فهم الشهيد له، بمعنى آخر، فإنّ عظمة الحياة تحتمّ عظمة الاستشهاد و العكس صحيح. و الحالة التي تواجهنا فى هذا القسم من المقطع الشعري، هى الحالة الأخيرة، إذ ماذا يعنى أن يلبس البطل شالاً مُنَمَّماً، ثم يخرج إلى الدنيا ممتلئاً عُجبا صارخاً فى الناس ما أحلى الحياة؟ يعنى ذلك أنّ حياة هذا البطل بعمقها و بالالفاظ المعبرة عنها حياة تافهة، لا يمكن أن تدفع ثمناً إلّا فى استشهاد تافه، كما لا يمكن أن تدفع ثمنها لعبارة بدیعة أو استعارة راقية أو رمز عميق.

(المعداوى، ١٩٩٣م: ص ١٠٨ - ١٠٩)

و يمكننا هاهنا أن ندافع عن هذا الشاعر بأنّه قصد من وراء هذه الصور الساذجة لشخصية زهران، تلك البطولة الساذجة و البراءة الفطرية اللتين نراهما أحياناً عند بعض الناس و لهذا ظهرت فى شعره شخصية زهران فى صفاء و سذاجة تشبه سذاجة الأطفال أو الأولياء و براءتهم.

فليست إذن، هذه الصور، مبتدلةً وركيكةً كما تُستفاد من العبارات السابقة و لا تكون الشهادة بالنسبة إلى زهران تافهةً كما استنتجها الناقد من هذه القصيدة .

ولكن مهما يكن من شيء، ففي مثل هذه المجالات الشعرية، يليق بالشاعر أن يتحدث عن خصائل الشهيد و شمائله و عن تلك القيم و الأهداف النبيلة التي استشهد من أجلها، لتكون إثارةً لهمّ القضية الوطنية و رفعاً لهمم الأحياء الثائرين و المقاتلين.

النتيجة

و نستطيع الآن أن نخلص إلى النتيجة التالية:

١. إن الحديث عن الشهيد في الشعر العربي، حديث مترامي الأطراف متباعدها، إذ لم يخلُ أيّ عصر من العصور التالية بعد الإسلام من تصوير الشهيد و الشهادة على لسان الشعراء، ذلك أنّهم منذ بزوغ فجر الإسلام الذي عظمّ الشهادة و الشهيد بالآيات و الأحاديث الشريفة، راحوا يصوِّرون الشهداء المسلمين و يمجّدونهم بأروع صور في مراثيهم الخالدة.

٢. بعد أن اندلعت الحروب في البلاد العربية و لاسيّما بعد قضية فلسطين و القيام بالثورات و تضحيات الأبطال المسلمين، اهتمّ الشعراء المعاصرون بقضية الشهادة و الشهيد في آثارهم اهتماماً بالغاً و راحوا يشاركون هؤلاء المجاهدين عن طريق إذكاء نار الكفاح المتأججة في صدور الثوّار و إثارة نخوة الرجولة في القلوب، للتأّر و الانتصاف من الظلم و الطغيان و عن طريق تخليد سيرهم و ملاحمهم و بطولاتهم و سردها للأحياء، لتكون قوةً حركيةً فاعلةً تفعل فعلها فيهم.

٣. إنّ الشعر العربي المعاصر، ملئٌ باللوحات و المشاهد الشعرية الرائعة للشهداء، محتضنةً حكاياتهم، زاخرةً بالمعاني و المضامين القيّمة، متنوّعةً في الأساليب و القوالب.

٤. إنّ الشعراء الذين عالجوا هذا الموضوع و إن اختلفوا في تصويرهم عن الشهيد و الشهادة و ما يرتبط بهم من أحداثهم البطولية و حكاياتهم الحماسية، إلّا أنّهم يقصدون من وراء حديثهم عن الشهيد و الشهادة هدفاً مشتركاً؛ هو تكريمُ الشهيد و الشهادة و إشعالُ نار الحماسة المتأججة في صدور الثوّار للتأّر و الانتقام من الظلم و الطغيان و تخليدُ سيرهم و ملاحمهم و بطولاتهم.

٥. هناك شعراء لا يرون الشهداء للإبكاء و ذكر محاسنهم و وصف أشكالهم و التحسّر على فقدانهم و تقديم العزاء إلى ذويهم و بسط الحكمة و الموعدة؛ بل تصوّروهم للشهداء تصويراً خاطفاً، ليوقروا جهدهم و طاقتهم الانفعالية على إثارة نخوة الرجولة في القلوب للانتفاضة و المقاومة ضد الظلم و الاضطهاد و القهر. و لهذا أشعارهم مليئة بالأفعال و الحركة و النبض الإنساني.

٦. إن محمود درويش يبتعد عن الشعراء الآخرين بعض ابتعاد في تصاويره البديعة للشهيد و الشهادة، لأن موت الشهيد عنده لا يعني توقّف الحياة، بل هو انتهاء خطوة و بداية خطوة؛ فهذا إنهم في الحياة و لم يموتوا، بل انتقلوا إلى مرتبة جديدة من الحياة، يواصلون رسالتهم فيها بشهادتهم المتحوّلة بعدهم إلى قدرات فاعلة تعمل عملها في الأحياء الباقين. لذا، إنهم أحياء بيننا، يخرج الشعر من بين أصابعهم و من صدورهم و شعاع عيونهم.

الهامش

١. أبو وليد حسن بن ثابت، ولد سنة ٥٤هـ.ق بالمدينة و نشأ في بيت شرف و جاه، ثم اتصل بالفساسنة و مدحهم، كما اتصل ببلاط الحيرة، ثم انتقل إلى الإسلام و ناصره بلسانه و ردّ على خصومه. فكان شاعر الأنصار في الجاهلية و شاعر النبي في النبوة و شاعر اليمن كلّها في الإسلام. و قد عاش نحو مائة و عشرين سنة، ستين منها في الجاهلية و ستين في الإسلام. له ديوان شعر أهم ما فيه مدح الرسول و مدح الفساسنة. (الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم، الطبعة الأولى، دارالجيل، بيروت ١٩٨٦ م: ج ٢/ ص ٤١٢-٤١٣)
٢. رجل هجان أي كريم النسب نقيه. السميح: قيل الشجاع و قيل الكريم. و رجل مغوار: مقاتل كثير الغارات و مغوار الصباح أي مغوار في الصباح. (البرقوقي، ١٣٤٧هـ.ق: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، المطبعة الرحمانية، مصر، ص ١٨٦)
٣. أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، أحد أمراء البيان، ولد عام ١٨٠ أو ١٨٨ق في جاسم القريبة من دمشق و توفي عام ٢٢٨ أو ٢٣١هـ.ق (مارغليوس، ابوتمام، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي و الآخرين، ج ٢ (ابن مالك - و ابوالخير) العدد ٥، ص ٣٢٠) يعدّ ابوتمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين و صاحب الطريقة التي تؤثر المعنى و تحتفل به و تعتمد الإكثار من البديع انتهت إليه زعامة الشعر في عصره فلم يكن أحد من الشعراء يستطيع أن يجرى معه في ميدان و حسبك أن البحثى سئل عن نفسه و عن أبي تمام فقال: إنما العيش به. (خفاجي، محمد عبد المنعم، ١٩٩٢م: الآداب العربية في العصر العباسي الأول، الطبعة الأولى، دارالجيل، بيروت: ص ٢١٨) له تصانيف منها «الاختيارات من اشعار القبائل» و «كتاب الاختيارات من شعر الشعراء» و «كتاب الفحول» و كتاب «الحماسه» و «اختيار المقطعات» و «مختارات من شعر المحدثين» و «نقائض جرير و الاخطل» و ديوان شعره جمعه الصولي و رتبته على حروف المعجم. (الفاخوري، ١٣٧٧هـ.ش: تاريخ الأدب العربي، نشر توس، طهران: ص ٤٨٣ - ٤٨٤). انظر ترجمة في: بن خلكان، ابوالعباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر، وفيات الأعيان و ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت: ص ١١ و ما بعدها)

٤. كان بابك خارجاً بئغر آذربيجان منذ سنة ٢٠١ حتى سنة ٢٢٢ حين أخذه الأفشن قائد المعتصم و أتى به إلى سُرَّ من رأى، فتعالى بها التكبير و الضجيج و قُتل و قُطع جسد و أنفذ رأسه إلى خراسان و صلب بدنه بسامراء. (طبرى، محمد جرير، ١٣٥٣ هـ.ش: تاريخ طبرى، ترجمه ابوالقاسم پاينده، چاپ چهارم، انتشارات اساطير، ص ٥٨٠٤ (حوادث ٢٢٠ ق و ما بعدها) و ابن الأثير، عزالدين ابوالحسن على بن أبى الكرم، ١٩٦٥م: الكامل فى التاريخ، دار صادر - دار بيروت: ج ٦/ ص ٤٧٨)
٥. كان من القواد الشجعان ووجهه المأمون إلى بابك الخرمى لمحاربتته و لكن قتل سنة ٤١٢ هـ.ق. (اليقوبى، احمد بن أبى يعقوب ابن واضح، تاريخ اليقوبى، دار صادر، بيروت: مكتبة يعسوب الدين الالكترونية، ج ٢/ ص ٤٦٢ - ٤٦٣. و انظر أيضاً: ابن الأثير، ج ٦/ ص ٤٠٧)
٦. كان أبو سعيد من الشجعان و من قواد محمد بن حميد الطوسى، فى دولة المعتصم و حارب بابك الخرمى عدة مرات و كان طائياً. (الأمين، السيد محسن، ١٤٠٦ هـ.ق: أعيان الشيعة، حقة و اخرجه، حسن الأمين، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت: ج ٤/ ص ٤٥٨ - ٤٥٩) و يذكر الصولى أنه من مرو. (ابوبكر محمد بن عبدالله الصولى، أخبار أبى تمام، مكتبة المصطفى، نسخة pdf ص ٥٧)
٧. على بن محمد بن سليمان بن على بن سليمان بن حسن الأنصارى الغرناطى، أبو الحسن، ابن الجياب. (٦٧٣ - ٧٤٩ هـ.ق / ١٢٧٤ - ١٣٤٨ م) شاعر وأديب أندلسى غرناطى أنصارى، ولد فى غرناطة، وبها نشأ و ترعرع، وأخذ العلم عن مجموعة من علمائها الأفاضل، توفى بالطاعون فى غرناطة. كان متفناً فى العلوم المختلفة مقدماً فيها: فى القراءات و الحديث و الفقه و فى اللغة و النحو و البلاغة و الأدب و فى الحساب و التاريخ، كما كان ناثراً و شاعراً مكثرأ فى عدة من فنون الشعر: فى الغزل و الممدح و الرثاء و الأدب و فى الألغاز. (فروخ، عمر، ١٩٧٩م: تاريخ الأدب العربى الأعصر العباسية، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ص ٤٣٨ - ٤٣٩)
٨. هو زين الدين عمر بن الوردى، ولد فى معرة النعمان سنة ٦٨٩ هـ.ق و توفى فى حلب سنة ٧٤٩ هـ.ق كان أديباً و شاعراً كما كان ملماً بعدد من فنون العلم و الأدب من الفقه و اللغة و النحو و التاريخ و النبات و الحيوان. غير أنه اشتهر بالشعر و بقصيدة واحدة اسمها اللامية و هى قصيدة حكيمية تبلغ سبعاً و سبعين بيتاً. له مؤلفات كثيرة منها: تنمة المختصر فى أخبار البشر و شرح ألفية ابن مالك و اللباب فى الإعراب. (فروخ، عمر، ١٩٧٩م: ص ٧٦٦ - ٧٦٧)
٩. ولد عبد الرحيم محمود سنة ١٩١٣م فى بلدة عنبتا التى تقع قرب طولكرم و هو يتمتع باحترام الأجيال الشعرية الفلسطينية و تقديرها الكبير لدفاعه عن فلسطين ضدّ الزحف الصهيونى و استشهد فى معركة الشجرة فى تموز ١٩٤٨م. (الخضرا الجيوسى، سلمى، بلاتا: موسوعة الأدب الفلسطينى المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج ١/ بيروت: ص ٤٢٨)
١٠. وُلد الشاعر داود موسى معللاً عام ١٩٣٣م فى قرية المالحه من ضواحي مدينة القدس بفلسطين، ونشأ فى أسرة ريفية متديّنة، وعاش مع أقرانه حياة هادئة بسيطة فى رابية جميلة من روابى القدس، إلى أن

أخرج من بلده منذ أوائل صباه، وابتعد عن القدس التى نشأ فى روايتها فدرج فى ساحات أقصاها. إنه شاعر ملتزم متمكن من لغته الشعرية، ذو لسان صادق، وعاطفة وهاجة، وأسلوب مؤثر، وفكر نير. شاعر حمل قضايا أمته، وتحدث فى أغلب شعره عن فلسطين عامة، وعن القدس بوجه خاص. عرف معنى الشعر، ووقف على خصائصه الفنية الحقة وانطلق منها، فقال شعراً جميلاً يمتع النفس ويأسر القلب، ويجعل السامع أو القارئ يحس أنه أمام شاعر فحل لا يقل عن كبار الشعراء الأقدمين.

(أبو عزام، ١٣٨٨هـ.ش، موقع منتدى المسلم، ٦٤٨٥ = <http://www.55a.net/vb/showthread.php?>)

١١. ولد الشاعر فى القاهرة عام ١٨٩٢م و كان منذ حدثه محباً للأدب، يقرأ الشعر العربى القديم و يطلع على الأدب الانكليزى الحديث، خاصة الأدب الرومانسى منه و كانت له صداقات مع الشعراء المعروفين فى زمانه، مثل: حافظ و شوقى و مطران. زاول أبوشادى الصحافة و أصدر عدة مجلات. منها (أبلى) و (أدى) و (الإمام) كما أنه خلف لنا ثلاثة و عشرين ديواناً شعرياً و ثلاثة عشر كتاباً فى الأدب و النقد و الاجتماع و ستة كتب علمية. وقد عالج أبوشادى جميع الأبواب الشعرية فقال غزلاً و وصفاً و فلسفة و قصصاً و تمثيلاً و لكنه كان فى شعره شاعراً متحرراً فى تفكيره التقدمى الثورى. ثم هو كان شاعر الطبيعة و الوجدان و شاعر التحليل النفسى و الإقناع العقلى الذى عمل جاهداً على الانطلاق من الكلاسيكية العميقة إلى الرومانسية المُنحَحة كما أنه سعى جاهداً إلى تحطيم قيود القافية و المساهمة فى الشعر المرسل و الشعر الحر. (شكيب انصارى، محمود، ١٣٨٢هـ.ش: تطوّر الأدب العربى المعاصر، الطبعة الثالثة، منشورات جامعة الشهيد تشرمان، اهواز: ص ١٨٤، ١٨٦)

١٢. ولدت عام ١٩١٧م بفلسطين و تحمل الجنسية الأردنية. تلقت تعليمها الابتدائى فى نابلس ثم تفتت نفسها بنفسها و التحقت بدورات فى اللغة الانجليزية و الأدب الانجليزية. دواوبنها الشعرية: وحدى مع الأيام ١٩٥٢ - وحدثها ١٩٥٧ - أعطنا حباً ١٩٦٠ - أمام الباب المغلق ١١٩٦٧ - الليل و الفرسان ١٩٦٩ - على قمة الدنيا وحيداً ١٩٧٣ - تموز و الشىء الآخر ١٩٨٩. (فتوح أحمد، محمد و ديكران: كزيدهاى از شعر عربى، ترجمه ياسر جعفر و موسى بيدج، تهران: انتشارات بين المللى الهدى، ١٣٧٩هـ.ش)

١٣ من مواليد عام ١٩٣٦م فى بيت دراس من أعمال غزة بفلسطين. مجاز فى الآداب بدرجة الدكتوراة من جامعة القاهرة. و يعمل فى إحدى الجامعات السعودية و للمزيد راجع مجموعة شعراء الدعوة الإسلامية، الجزء الأول، مطبعة الرسالة. (الساريسى، ١٩٩٦م: ص ١٠٩)

١٤. جميل صدقى بن محمد فيضى ابن الملا أحمد بابان، الزهاوى (١٢٧٩ - ١٣٥٤هـ.ق): شاعر، ينحو منحى الفلاسفة، من طلائع نهضة الأدب العربى فى العصر الحاضر. مولده ببغداد و نسبته إلى «الزهاوى» كانت إمارة مستقلة و هى اليوم من أعمال إيران. له مقالات فى كبريات المجلات العربية. و من كتبه «الكائنات» و «الجاذبية» و «تعليها» و «المجمل مما أرى» و «أشراك الدما». و شعره كثير يناهز عشرة آلاف بيت. منه «ديوان الزهاوى» و «الكلم المنظوم» و «الشذرات» و «نزع الشيطان» و «كتاب الزهاوى» و «ديوانه المفقود» لهلال ناجى. (الزركلى، خير الدين، ٢٠٠٢م: الأعلام، الطبعة

الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت: ج ٢ / ص ١٣٧) يقول حنا الفاخوري عن شعره: كان الزهاوى غزير المادة، فيّاض القريحة و شعره فيض من نفسه و صورة لشعوره و سجل للكثير من أحداث عصره و ينطلق فيه انطلاق عمق و تحليل و تعليل. صياغته هي السهولة و السلاسة و الأوزان الخفيفة. (لفاخوري، حنا، ١٩٨٦ م: الجامع فى تاريخ الأدب العربى - الأدب الحديث، دار الجليل، بيروت: ج ٢ / ص ٤١١)

١٥. لم نجد البيتين الأخيرين فى الديوان.

١٦. ولد الشاعر سنة ١٩٣٩م فى مدينة الزرقاء بالأردن. عمل فى مجال التعليم و الصحافة و صدر له الكثير من الدواوين الشعرية، منها مواكب الشمس، ١٩٥٨م و أخذة الأميرة يبوس، ١٩٩٠م. (ماجد الحكواتى و عدنان جابر، ٢٠٠١م: مختارات من الشعر العربى فى القرن العشرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى، الكويت: الجزء الأول، ص ١٩١)

١٧. ولدت نازك الملائكة فى بغداد سنة ١٩٣٢م فى بيئة شعراء. أمها سلمى الكاظمية، أم نزار الملائكة، كانت شاعرة مجيدة و كذلك أخوها و خالها و أفراد آخرون من أسرتها. و هى رائدة من رواد الشعر الحر. درست فى دار المعلمين العالمية فى بغداد، ثم فى الولايات المتحدة الأمريكية.

يتميز شعرها بالحساسية المفرطة و بالألم الحاد. و هى عاشقة الليل و هاوية الأمل، هائمة بين القبور. تجد فى المساء صديقاً لها و فى الحزن رفيقاً و فى الموت ملاذاً. شعرها ينضح بأساً و تشاؤماً.

لها عدة دواوين شعرية، منها «عاشقة الليل» و «شظايا ورماد» و «قرارة الموجة» (خليل جحا، ميشال، ١٩٩٩م: الشعر العربى الحديث من أحمد شوقى إلى محمود درويش، الطبعة الأولى دار الثقافة،

بيروت: ص ٣٥٨ - ٣٦٠ و رز غريب، ١٩٨٠م، نسيمات و أعاصير فى الشعر النسائى العربى

المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت: ص ١٢٩)

١٨. نشأت ماري عجم (١٨٨٨م - ١٩٦٥م) فى دمشق فى أسرة حموية الأصل. شعرها كثير، متنوع الموضوعات كمقالاتها النثرية. عالجت الشعر المنشور فى بعض نتاجها لكن أكثر شعرها يرتبط بالوزن و القافية و ينقسم من حيث الأغراض إلى شعر وجدانى يتضمّن خواطرها الحميمة، و شعر وطنى اجتماعى، منه قصيدتها فى المتنبى. و قصائدها فى مدح العامل و الفلاح و الجندى و الشهيد. (رز غريب، ١٩٨٠م: ص ٥٧ - ٥٩)

١٩. ولد محمود درويش سنة ١٩٤٨م فى قرية «البروة» التى تقع شرقى عكا. قضى درويش حياته فى الكفاح و الدفاع عن وطنه، فلهذا عانى طوال حياته من التشرد و الملاحقة و السجن، فقد سُجن عدة مرات على أيدى السلطات الإسرائيلية. فهو كان شاعر فلسطين، شاعر الأرض المحتلة، شاعر المقاومة. يسكن القصيدة و يشيد وطناً من الشعر. وكما عمل الشاعر على تحرير وطنه، عمل كذلك على تحرير القصيدة العربية من النمطية التى غرقت فيها و تطویرها و السعى إلى خلق توازن بين اتجاهين، هما السلفية المغرقة فى إنكار التطور التاريخى الذى نعيش فيه، و مسار آخر هو المسار الفوضوى العدمى

الذي يقترح على القصيدة باباً واحداً للمعاصرة وهو أن تنقطع عن تاريخها، كما يقول في تصريح له. بيد أن الشاعر في دواوينه الأخيرة راح يمعن في السريالية و يدخل شعره دهاليز الغموض و الإيهام. ولكن، لا مشاحة في أن محمود درويش هو أبرز شعراء فلسطين الذي اختزل وطنه في اسمه و بات رمزاً من أهم رموزه. له دواوين شعرية عديدة منها: «أوراق الزيتون» «عاشق من فلسطين» و «آخر الليل» و «العصافير تموت في الجليل» (خليل جحا، ١٩٩٩م: ص ٤٦٩ - ٤٧١، ٤٨١)

٢٠. يعبر «شاعر النابلسي» عن هذه الحياة، بحياة الفن، (ص ٤٠٥) إذ لا يزال الشعراء يستلهمون الشهداء في اشعارهم و شهداتهم هذه هي التي تدفعهم إلى الأمام، فكأنهم أحياء و يراهم الشعراء و يتكلمون معهم في حياتهم الفنية. ولكن الحق هو أن الشهداء أحياء في كل الأمكنة و الأزمنة و لا تقتصر حياتهم على نوع خاص منها كحياة الفن مما ورد في رأى النابلسي.

٢١. شاعر و اديب معاصر. له ديوان شعر و كتب. منها الرومانتيكية و الواقعية في الأدب.

٢٢. على أحمد اسبر سعيد، الملقب بأدونيس، الشاعر و الأديب المعاصر، ولد سنة ١٩٣٠م بقرية قصابين التابعة لمدينة اللاذقية في سورية. (عرب، ١٣٨٣هـ.ش، ص ١١) يُعتبر أدونيس في طليعة الشعراء العرب المعاصرين الذين طوروا الشعر العربي من حيث الشكل و اللغة و المضمون. و هو يعنى خاصة بالتعبير الشعري و استغلال الطاقة الإيقاعية للكلمة. عالج في شعره مشكلات كيانية يعانها في حضارته و مجتمعه و تراثه، و في ذاته كذلك، بغية بناء عالم جديد و إنسان جديد، لأن مهمة الشاعر - في ظنه - تغيير العالم. شعره شعر الدهشة و الصعوبة و الانبهار و الصور المبتكرة و كثافة الكلمة و عمق الفكرة و استخدام الأسطورة و الرمز و الصوفية. و هو يمتاز عن سائر الشعراء العرب المعاصرين، بأنه كتب حول الشعر و نظرياته و قضاياها بقدر ما نظم من شعر. «منها الثابت و المتحول» و «سياسة الشعر» و «زمن الشعر» و من دواوين شعره «أغاني مهبّار الدمشقي» و «المسرح و المرايا» و ديوان الأساطير» (خليل جحا، ١٩٩٩م: ٤٠١ - ٤٠٩).

٢٣. تحدّثنا عنه سابقاً.

٢٤. تحدّثنا عنه سابقاً.

٢٥. ولد عام ١٩٤٦م في بني نعيم - الخليل - فلسطين. عمل مديراً للبرامج الثقافية في الإذاعة الأردنية و سكرتير تحرير مجلة «شؤون فلسطينية» و أستاذ الأدب المقارن في جامعتي قسنطينة و تلمسان بالجزائر. و يعمل الآن رئيساً لقسم اللغة العربية بجامعة القدس المفتوحة ببلنسان. (السريع، عبد العزيز محمد و الآخرون، ١٩٩٥م: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ج ٣/ ٤٨٨) له أكثر من ١١ مجموعة شعرية جمعت في الأعمال الشعرية التي طبعتها دار مجد لاوى عمان، ٢٠٠٦ (في مجلدين) منها «عنب الخليل ١٩٦٨»، «الخروج من البحر الميت ١٩٦٩»، «قمر جرش كان حزيناً» ١٩٧٤، «كنعانيا ذا ١٩٨٣»، «رعويات كنعانية ١٩٩٢» و «لائق بطائر الوقواق ٢٠٠٠م». ترجمت مختارات شعره إلى اللغات الفرنسية و الإنجليزية و الفارسية. له

- مؤلفات و كتب نقدية متعددة. منها النقد الثقافي المقارن ١٩٨٨ و جمرة النص ١٩٩٥ و إشكاليات قصيدة النثر ٢٠٠٢. (رستم بور ملكي، رقية، قناع امرئ القيس في شعر عز الدين المناصرة، ١٣٨٦ هـ.ش، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية و آدابها، الربيع و الصيف، العدد ٧، ص ٦٤ - ٦٥)
٢٦. ولد في مدينة الزقازيق سنة ١٩٣١م. و مما لاشك فيه أن الشاعر هو أبرز شعراء مصر بعد أمير الشعراء، أحمد شوقي. و هو يمتاز في أنه يُعدّ من شعراء الطليعة في مسيرة الشعر العربي الحديث. و مما يمتاز به على سائر جيله، أنه نظم المسرحية الشعرية و له في النقد الأدبي مؤلفات هامة. و كان أيضاً أول شاعر مصري ينشر ديواناً عام ١٩٥٧ من الشعر الجديد، كما يسميه، أي الحرّ الذي يعتمد التفعيلة هو «الناس في بلادى». و أخيراً توفّي الشاعر إثر انفعال ناجم عن مشادة كلامية أذى إلى إصابته بأزمة قلبية في ١٤/٩/١٩٨١م. (خليل جحا ١٩٩٩م: ص ٢٠٠، ٢٠٦)
٢٧. في الديوان: الصدغ
٢٨. في الديوان: و تحت الوشم نبش كالكتابة
٢٩. في الديوان: ما أحلى الشباب

المصادر

القرآن الكريم.

- ابن الأثير، عزالدين ابوالحسن على بن أبي الكرم (١٩٦٥م). *الكامل في التاريخ*، بيروت: دار صادر.
- ابن خلكان، ابوالعباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر. *وفيات الأعيان و ابناء الزمان*، تحقيق احسان عباس، بيروت: دار صادر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين (٢٠٠٩م). *الديوان*، موسوعة الشعر العربي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإصدار الأول.
- ابن الوردي، زين الدين عمر (٢٠٠٩م). *الديوان*، موسوعة الشعر العربي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإصدار الأول.
- أبو حاققة، أحمد (١٩٧٩م). *الالتزام في الشعر العربي*، بيروت: دار العلم للملايين.
- أدونيس، على أحمد (١٩٩٦م). *الأعمال الشعرية - أغاني مهيار الدمشقي و قصائد أخرى*، ج ١، بيروت: دار الهدى للثقافة و النشر.
- الأمين، السيد محسن (١٤٠٦ ق). *أعيان الشيعة*، ج ٤، حققة و اخرجه، حسن الأمين، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات.
- الأنصاري، حسان بن ثابت (١٢٨١ق). *الديوان*، تونس: طبع بمطبع الدولة التونسية بحاضرتها المحمدية.
- البرقوقي، عبدالرحمن (١٣٤٧ق). *شرح دوان حسان بن ثابت الأنصاري*، مصر: المطبعة الرحمانية.
- الحكواتي، ماجد و جابر، عدنان (٢٠٠١م). *مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين*، ج ١، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين معجم البابطين للإبداع الشعري.

الخضراء، الجيوسي، سلمى، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، ج ١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر. الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي (١٩٥١م). شرح ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام، ط ٣، القاهرة، دار المعارف.

خفاجي، محمد عبدالمنعم (١٩٨٦م). قصة الأدب المهجري، بيروت: دار الكتاب اللبناني. خفاجي، محمد عبدالمنعم، (١٩٩٢م). الأدب العربية في العصر العباسي الاول، بيروت: دارالجيل. خليل جحا، ميشال (١٩٩٩م). الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش، بيروت: دار الثقافة. درويش، محمود (١٩٨٩). ديوان محمود درويش، ط ١٣، بيروت: دار العودة. رستم پور ملكي، رقيه (١٣٨٦ هـ.ش). قناع امرئ القيس في شعر عزالدين المناصرة، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية و آدابها، الربيع و الصيف، العدد ٧.

الساريسي، عمر عبدالرحمن (١٩٩٦م). مقالات في الأدب الإسلامي، عمان: دار الفرقان للنشر و التوزيع. الزركلي، خير الدين (٢٠٠٢). الأعلام، ج ٢، ط ١٥، بيروت: دار العلم للملايين. السريع، عبدالعزيز محمد و الآخرون (١٩٩٥م). معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ج ٣، الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. شكيب انصاري، محمود (١٣٨٢هـ.ش). تطور الأدب العربي المعاصر، الطبعة الثالثة، اهواز: منشورات جامعة الشهيد تشرمان.

الصولي، ابوبكر محمد بن عبدالله: أخبار أبي تمام، مكتبة المصطفى، نسخه pdf. الصغير، جلال الدين (١٤١٠هـ.ق). «الشهادة و حياة الأمة»، مجلة الثقافة الاسلامية، رمضان و شوال، العدد ٣٠. ضيف، شوقي (٢٠٠٤م). العصر العباسي الاول، دارالمعارف. الطباطبائي، السيد محمد حسين (بالاتا). الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

الطبرسي، أبوعلی الفضل بن. الحسندون تاريخ، مجمع البيان في تفسير القرآن، تصحيح و تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي، الجزء التاسع، بيروت: دار المعرفة. طهراني، نادر نظام و واعظ، سعيد (١٩٩٢م). نصوص من النثر و الشعر في العصر الحديث، طهران: منشورات جامعة طهران.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (١٤٠٩ق). التبيان في تفسير القرآن، تحقيق و تصحيح أحمد حبيب قصير العاملی، ج ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي. طوقان، إبراهيم (٢٠٠٢م). العمل الشعرية الكاملة، إعداد و ترتيب: ماجد الحلכותي، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

طوقان، فدوى (١٩٩٣م). الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر. عبد الصبور، صلاح (١٩٧٢م). الديوان، دارالعودة. عرب، عباس (١٣٨٣ش). ادونيس در عرصه شعر و نقد معاصر عرب، مشهد: فردوسی. عطية، شاهين (١٤١٢ق). شرح ديوان أبي تمام، ط ٢، بيروت: داركتب العلمية.

الغرناطي، ابن الجيآب (٢٠٠٩م). *الديوان، موسوعة الشعر العربي، مؤسسة محمدبن راشد آل مكتوم، الإصدار الأول*.
غريب، روز (١٩٨٠م). *نسمات وأعاصير فى الشعر النسائى العربى المعاصر، بيروت: المؤسسة العربية
للدراسات و النشر.*

فتحية، إبراهيم صرصور (٢٠٠٥م). *خصائص الأسلوب فى شعر فادوى طوقان، غزة - فلسطين: دار الصداقة
للنشر الإلكتروني.*

فتوح أحمد، محمد و علام، عبد الواحد و كمال الدين حلمى، أحمد، و أبو الأنوار، محمد و قميحة، جابر و
سعيد نبوى، أحمد (١٣٧٩ش). *مقتطفات من الشعر العربى، ترجمة ياسر جعفر و موسى بيدج، طهران:
انتشارات بين المللى الهدى و مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين.*

فروخ، عمر (١٩٧٩م). *تاريخ الأدب العربى الأعصر العباسية، ط ٥ بيروت: دار العلم للملايين.*

القاسم، سميح (١٩٩٣م). *الأعمال الكاملة، ج ٢، لبنان: دار سعاد الصباح.*

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى. *الجامع لأحكام القرآن، الجزء الرابع، مكتبة المصطفى، نسخته
pdf*

القيسى، نورى حمودى، (بلا تا). *شعر الحرب فى العصر العباسى، جامعة بغداد.*

المجلسى، محمدتقى، ١٣٩٣ق، *بحار الأنوار، ج ١٠٣، الباب التاسع عشر، الطبعة الجديدة، طهران.*

محفوظ، عصام (١٩٩٨م). *مختارات من الشعراء الرواد فى لبنان، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع و النشر.*

مارغليوس، ابوتام. *دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندى و الآخرين، ج ٢ (ابن مالك - و
ابوالخير) طهران: بوذرجمهرى، العدد ٥.*

مرزوق، حلمى (١٩٨٣م). *الرومانتيكية و الواقعية فى الأدب، بيروت: دار النهضة العربية.*

المعداوى، أحمد (١٩٩٣م). *أزمة الحداثة فى الشعر العربى الحديث، المغرب: منشورات دار الآفاق الجديدة.*

مروة، محمدرضا (١٤١١ق). *أبو تمام عصره، حياته، شعره، بيروت: دار الكتب العلمية.*

النابلسى، شاكر (١٩٨٧م). *مجنون التراب، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.*

نازك الملائكة (١٩٧١م). *الديوان، ج ٢، بيروت: دار العودة.*

اليقوبى، احمد بن أبى يعقوب ابن واضع. *تاريخ اليقوبى، ج ٢، بيروت: دار صادر، مكتبة يعسوب الدين
الإلكترونية.*

المصادر الانترنتية

أبو عزام، موقع منتدى المسلم (١٣٨٨ش):

<http://www.55a.net/vb/showthread.php?= 6485>

اغفير، ابتسام (١٣٨٨ش). *حول الشهيد فى الأدب العربى، شبكة دهشة:*

<http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=5379>

بارود، عبد الرحمن، موقع الشاعر عبد الرحمن بارود:

<http://www.dr-barood.net/index.php>

١١٦ الشهادة و الشهيد فى الشعر العربى المعاصر

البورينى، صالح (١٣٨٨ش). رابطة الأدب الإسلامى تحببى ذكرى الشاعر الراحل داود معلا، موقع رابطة أدباء الشام،
<http://www.odabasham.net/show.php?sid=461>

ابن ارض، السواد (١٣٨٩ش). موقع ومؤسسة الشهداء:

<http://www.alshuhadaa.com>.

عتيق، عمر عبد الهادى (١٣٨٨ش). صورة الشهيد فى ديوان عز الدين المناصرة، موقع منابر ثقافية:

<http://www.odabasham.net/show.php?sid=5366>

معلا، داود، موقع رابطة أدباء الشام (١٣٨٨ش):

<http://www.odabasham.net/cat.php?catid=15>

